

اسم المحاضرة: خلافة معاوية الثاني بن يزيد سنة (٦٦٤هـ / ٦٨٥م) + خلافة مروان بن الحكم (٦٦٤-٦٨٤هـ / ٦٨٥-٦٨٤م)

ملك أربعين يوماً، وقيل ثلاثة أشهر ثم صعد المنبر وقال: (يا أيها الناس، إن جدي معاوية نازع الأمر أهله، ومن هو احق به منه لقرابته لرسول الله (ص) وهو علي بن ابي طالب (ع) وركب بكم ما تعلمون حتى اتته منيته، فصار في قبره رهيناً بذنوبه وأسيراً بخطاياها، ثم قلد أبي الأمر فكان غير أهل لذلك، وركب هواه وأخلفه الأمل وقصر عنه الأجل، وصار في قبره رهيناً بذنوبه وأسيراً بجرمه)، ثم بكى حتى جرت دموعه على خديه وقال: (إن من أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وبئس منقلبه، وقد قتل عترة رسول الله (ص) وأباح الحرم وضرب الكعبة، وما انا بالمتقلد ولا بالمتحمل تبعاتكم، فشأنكم وامركم، والله لئن كانت الدنيا خيراً فلقد لننا منها خطأً، وإن كانت شرّاً فكفى ذرية أبي سفيان ما أصابوا منها)، ثم دخل منزله وتغيب حتى مات في سنته بعد أيام وقيل مات مسموماً وليس له من الخبر ما يُؤثر.

فانشقت القيادات المؤيدة لبني أمية على نفسها الى كتلتين:

١- كتلة القبائل اليمانية بقيادة حسان الكلي، وتؤيد زعامة مروان بن الحكم.

٢- كتلة القيسيين بقيادة الضحّاك بن قيس الفهري، تؤيد عبد الله بن الزبير.

واشتبكت الكتلتين بمعركة (مرج راهط) التي تقع شرق دمشق. انتصر فيها الكلبيين، فأصبح (مروان بن الحكم) خليفة وبذلك انتقلت الخلافة الى البيت المرواني.

خلافة مروان بن الحكم (٦٦٤-٦٨٤هـ / ٦٨٥-٦٨٤م)

لما انتصرت كتلة الكلبيين في معركة (مرج راهط) استمر النزاع بين أنصار البيت الاموي على من يتولى الخلافة حتى عقدوا مؤتمر الجابية الذي أقر فيه الخلافة لمروان بن الحكم ومن بعده خالد بن يزيد بن معاوية ومن بعده لعمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالأشدرق، وبذلك أرضوا جميع الأطراف التي كانت تتطلع للخلافة، وكان في ذي القعدة عام (٦٦٤هـ).

تابع مروان نشاطه فجهز جيشاً بقيادته الى مصر التي استقلت عن بلاد الشام لطرده عبد الرحمن بن جحدم عامل عبد الله بن الزبير، وبعد معركة محسومة دخل مروان عين شمس ثم الفسطاط بعد هزيمة ابن جحدم في أول جمادى الأولى سنة (٦٦٥هـ)، وبني الدار البيضاء لتكون مقراً له ثم عاد الى الشام مخلفاً ابنه عبد العزيز في مصر والياً عليها، وأعد جيشين، أحدهما سيّره الى الحجاز لمحاربة عبد الله بن الزبير الذي بسط نفوذه في الحجاز فحلت الهزيمة في جيشه هناك، والأخر الى العراق الذي تمكن من القضاء على ثورة التوابين.

ثورة التوابين

اجتمع ناس من أهل الكوفة من الذين كاتبوا الامام الحسين (ع) وبايعوه على النصر والمساندة لكنهم خذلوه ولم ينصروه وتخلوا عنه فندموا على فعلتهم وتابوا من ذلك فسُموا بالتوابين، وكان يتزعمهم خمسة من رؤسائهم هم:

١- سليمان بن صرد الخزاعي.

٢- المسيب بن نجبة.

٣- عبد الله بن سعد بن نفييل.

٤- عبد الله بن وائل.

٥- رفاعة بن شداد.

واستمرت هذه الحركة سرية في عملها حتى وفاة يزيد سنة (٦٦٤هـ) وكان هدفها هو الثأر من قتلة الحسين (ع)، ولقد سمح عامل ابن الزبير على الكوفة عبيد الله بن يزيد الأنصاري للتوابين في العمل بحرية وبالظهور والانتشار طالما انهم لم يخرجوا عليه، وطلب منهم التوجه لقتال عبيد الله بن زياد الذي كان يتقدم على رأس جيش كبير نحو الكوفة. فاختار التوابين سليمان بن صرد الخزاعي أميراً عليهم، وتقدم لملاقاة ابن زياد في أربعة آلاف مقاتل بعدما بايعه (١٨) ألف من أهل الكوفة، ونزل قرقيسيا وأقام لخمسة أيام في منطقة عين الوردة، وفي الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة (٦٦٥هـ) تقابل الجيشان في عين الوردة وكان الحُصين بن نُمير يقود جيش الشام ودارت معركة حاسمة بينهما انتهت بانتصار أهل الشام وقُتِلَ سليمان بن صرد وبعض القادة الخمسة، اما الباقين فهربوا وتفرق شملهم فيما بعد، وقسم منهم التحق بالمختار الثقفي عند قيامه.

ثورة المختار الثقفي

ظهر المختار بن ابي عبيدة الثقفي مستهضاً أهل العراق لأخذ الثأر من قتلة الحسين (ع) بعد فشل ثورة التوابين، وكاتب المختار كلاً من الإمام زين العابدين عليه السلام وعمه محمد بن علي المعروف بابن الحنفية، فلم يعلن الإمام عن تأييده الصريح له لكنه أمضى عمله عندما ثار من قتلة ابيه الحسين (ع)، ثم ان المختار قَوِيَتْ شوكته ففتك بقتلة الحسين (ع) فضرب عنق عمر بن سعد وابنه، وقال: (هذا بالحسين وابنه علي، والله لو قتلت به ثلثي قريش ما وفوا بأنملة من انامله)، ثم ان مروان أرسل عبيد الله بن زياد في جيش كثيف فأرسل اليه المختار ابراهيم بن مالك الأشتر فالتقى الجيشان بنواحي الموصل في (معركة خازر) فقتله ابراهيم وأرسل برأسه للمختار الذي أرسله للمدينة مع رأس عمر بن سعد الى الامام

زين العابدين عليه السلام الذي سجد لله شكراً وقال: (الحمد لله الذي أدرك ثأري من أعدائي وجزى الله المختار خيراً)، وقيل ان الإمام زين العابدين (ع) لم يُرَ ضاحكاً منذ ان استُشهِدَ أبوه إلا في اليوم الذي رأى فيه رأس ابن مرجانة، وقال بعض المؤرخين: انه لما رأى رأس الطاغية قال: (سبحان الله ما اغتر بالدنيا إلا من ليس لله في عنقه نعمة، لقد أدخل رأس "ابي عبد الله" على ابن زياد وهو يتغدى).
ثم ان عبد الله بن الزبير أرسل أخاه مصعباً وكان شجاعاً فتاكاً الى المختار فقتله، وبقيت الحال كما هي عليه. فقد أدركت مروان بن الحكم منيته سنة (٦٥هـ) بعد ان عهد بالخلافة لابنيه عبد الملك وعبد العزيز.

كيفية وفاته:

بعدما بويع مروان بالخلافة تزوج من أم خالد بن يزيد منافسه على الخلافة ليصغر بذلك شأن خالد فيسقط عن درجة الخلافة. ودخل عليه ذات يوم فقال له مروان: يا ابن الرطبة ونسبه الى الحُمق ليصغر أمره عند اهل الشام فخجل خالد وأخبر أمه فقالت: (لا يعلمن أحد أنك أعلمتني وانا أكفيكه). ولما نام مروان عندها وضعت على وجهه وسادة ولم ترفعها حتى مات، ولما علم بذلك ابنه عبد الملك أراد قتلها فأشير عليه بالعدول عن رأيه حتى لا يتحدث الناس عن امرأة قتلت أباه فيلحق به العار، وكانت ولاية مروان تسعة أشهر وبعض شهر، وصدق به قول أمير المؤمنين علي (ع): ((إن له أمره كلعقة الكلب أنفه))، وبويع من بعده لولده عبد الملك بن مروان.

المصدر: ابن خلدون، العبر في اخبار من غبر